٧ ــ باب: في اليقين والتوكُّل

. . . . . .

بـاب اليقيـن

قال السيد في كتاب تعريفات العلوم: اليقين في اللغة: العلم الذي لا شك معه، وفي الاصطلاح، اعتقاد الشيء أنه كذا، مع اعتقاد أنه لا يمكن إلا كذا، وهو مطابق للواقع، غير ممكن الزوال، وعند أهل الحقيقة: رؤية العيان بقوة الأيمان لا بـالحجة والبيـان، وقيل: مشاهدة الغيوب بصفاء القلوب، وملاحظة الأسرار بمحافظة الأفكار (والتوكل) عرفه الشيخ العارف بالله أبو مدين بقوله في حكمه: التوكل وثوقك بالمضمون، واستبدالك الحركة بالسكون، وعرفه غيره بقوله: اعتمادك على مولاك ورجوعك إليه، وخروجك عن حولك وقوتك، وانطراحك بين يديه، وقيل: اكتفاؤك بعلم الله فيك[1] عن تعلق القلب بسواه، ورجوعك في كل الأمور إلى الله:

عبـاراتنـا شتى وحسنـك واحـد وكـلٌ إلـى ذاك الجمـال يشيـر

كذا في شرح الحكم المذكورة لعمي الشيخ العارف بالله أحمد بن علان الصديقي. وفي شرح مسلم للمصنف اختلفت عبارات السلف والخلف في حقيقة التوكل؛ فحكى الإمام أبو جعفر الطبري وغيره عن طائفة من السلف أنهم قالوا: لا يستحق اسم التوكل إلا من لم يخالط قلبه خوف غير الله من سبع أو عدو، حتى لا يطلب الرزق ثقة بضمان الله رزقه، وقالت طائفة: هو الثقة بالله، والإيقان بأن قضاءه نافذٌ واتباع سنة نبيه ﷺ، والسعي فيما لا بد منه من مطعم ومشرب، والتحرز من العدو كما فعله الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم. قال القاضي عياض: وهذا المذهب هو اختيار الطبري وعامة الفقهاء، والأول مذهب بعض المتصوفة وأصحاب علم القلوب والإشارات، وذهب المحققون منهم إلى نحو

(١) لعله بك. ش.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى[١]: ﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَاناً وَتَسْلِيماً ﴾.

وَقَالَ تَعَالَى[٢]: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ، فَزَادَهُمْ إِيمَاناً، وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ * فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ، وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾.

مذهب الجمهور، ولكن لا يصح عندهم التوكل مع الالتفات والطمأنينة إلى الأسباب، بل فعل الأسباب سنة الله وحكمته والثقة بأنها لا تجلب نفعاً ولا تدفع ضراً والكل من الله. هذا كلام القاضي. وقال القشيري: اعلم أن التوكل محله القلب، وأما الحركة بالظاهر فلا تنافي توكل القلب. بعد ما تحقق العبد أن التقدير من فعل الله عز وجل؛ فإن تعسر شيء فبتقديره، وإن تيسر شيء فبتيسيره. وقال سهل بن عبد الله: التوكل في الاسترسال مع الله على ما يريد. وقال أبو عثمان الحيري: التوكل الاكتفاء بالله تعالى مع الاعتماد عليه ا هـ.

(**قال الله تعالى: ولما رأى المؤمنون الأحزاب**) من الكفار (**قالوا: هذا ما وعدنا الله ورسوله**) من الابتلاء والنصر (**وصدق الله ورسوله**) في الوعد (**وما زادهم**) ذلك (**إلا إيماناً**) تصديقاً بوعد الله (**وتسليماً**) لأمره.

(**وقال تعالى: الذين**) بدل من الذين قبله أو نعت له (**قال لهم الناس**) أي نعيم بن مسعود الأشجعي (**إن الناس**) أبا سفيان وأصحابه (**قد جمعوا لكم**) الجموع ليستأصلوكم (**فاخشوهم**) ولا تأتوهم (**فزادهم**) ذلك القول (**إيماناً**) تصديقا بالله ويقينا (**وقالوا حسبنا الله**) كافينا أمرهم (**ونعم الوكيل**) المفوض إليه الأمر هو، وخرجوا مع النبي ﷺ، فوافوا سوق بدر الذي كان واعد النبي ﷺ كفار قريش يوم أحد عليه، وألقى الله الرعب في قلب أبي سفيان وأصحابه فلم يأتوا، وكان مع الصحابة تجارات فباعوا وربحوا قال تعالى: (**فانقلبوا**) رجعوا من بدر (**بنعمة من الله وفضل**) بسلامة وربح (**لم يمسسهم سوء**) من قتل أو جرح (**واتبعوا رضوان الله**) بطاعته وطاعة رسوله في الخروج (**والله ذو فضل عظيم**) على أهل طاعته. وقد بسطت الكلام في هذه الآية في كتاب الجهاد من شرح الأذكار.

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٢٢.

(٢) سورة آل عمران، الآيتان: ١٧٣، ١٧٤.

وَقَالَ تَعَالَى[١]: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾.

وَقَالَ تَعَالَى[٢]: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

وَقَالَ تَعَالَى[٣]: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾.

وَالآيَاتُ فِي الأَمْرِ بِالتَّوَكُّلِ كَثِيرَةٌ مَعْلُومَةٌ.

وَقَالَ تَعَالَى[٤]: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾: أَيْ كَافِيهِ.

(وقال تعالى: وتوكل) فيه إشارة لشرف التوكل، وأوجبه بعضهم مطلقاً والظاهر وجوبه باعتبار لا مطلقاً. أما التوكل بطرح الأسباب والاكتساب، فهو من شأن أهل الكمال، وهو المندوب. وفي المفهم للقرطبي: المتوكلون على حالين: الحال الأول حال المتمكن في التوكل، فلا يلتفت إلى شيء من الأسباب بقلبه ولا يتعاطاها إلا بحكم الأمر، والحال الثاني حال غير المتمكن، وهو الذي يقع له الالتفات إلى الأسباب أحياناً، غير أنه يدفعها عن نفسه بالطرق العلمية، والبراهين القطيعة والأذواق الحالية، فلا يزال كذلك إلى أن يرقيه تعالى بجوده إلى مقام المتمكنين، ويلحقه بدرجات العارفين ا هـ. (على الحي الذي لا يموت) فيه إشارة إلى أن من توكل على غير الله فقد ضاع؛ لأن الغير يموت، والعاقل لا ينبغي له أن يتوكل على من يموت ويفنى. وقال بعضهم: الاعتماد على الغنى غايته الفقر، والاعتماد على القوة آخره الضعف، والاعتماد على الخلق هو طريق الخذلان، ومن اعتمد على سوى الله وتوكل على غيره فقد ضيع وقته وخاب سعيه؛ لأن الحي الذي لا تجري عليه فنون العوارض دعاك إليه بألطف دعواه فقال: ﴿وتوكل على الحي الذي لا يموت﴾[٥] (وقال تعالى: وعلى الله) لا على غيره (فليتوكل المؤمنون) إذ هو الحي القيوم. (وقال تعالى: فإذا عزمت) على إمضاء ما تريد بعد المشاورة (فتوكل على الله) أي ثق به لا بالمشاورة (والآيات في الأمر بالتوكل كثيرة معلومة).

(وقال تعالى:) في فضل التوكل وثمراته (ومن يتوكل على الله فهو حسبه. أي كافيه ــ

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٥٨.

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ١١.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

(٤) سورة الطلاق، الآية: ٣.

(٥) سورة الفرقان، الآية: ٥٨.

وَقَالَ تَعَالَى[1]: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾.

والآياتُ فِي فَضْلِ التَّوَكُّلِ كَثِيرَةٌ مَعْرُوفَةٌ.

وَأَمَّا الأَحَادِيثُ:

٧٤ ــ فَالأَوَّلُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرُّهَيْطُ، وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ والرَّجُلانِ، وَالنَّبِيَّ لَيْسَ مَعَهُ

وقال تعالى: إنما المؤمنون أي: الكاملو الإيمان **(الذين إذا ذكر الله)** أي: وعيده **(وجلت)** خافت **(قلوبهم)** وقيل: ﴿إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾[2] فزعت لذكره استعظاماً له وتهيباً من جلاله **(وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً)** تصديقاً. وإسناد الزيادة للآيات من الإسناد للسبب **(وعلى ربهم يتوكلون)** يفوضون أمرهم إليه ولا يخشون ولا يرجون إلا إياه والآيات في فضل التوكل وثمراته كثيرة معروفة ــ وأما الأحاديث النبوية في فضل التوكل.

٧٤ ــ **(ف)** الحديث **(الأول)** منها **(عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: عرضت)** بالبناء للمفعول **(عليَّ)** بتشديد التحتية **(الأمم)** وفيه كمال شرفه، وعرض جميع الأمم عليه صلوات الله وسلامه عليه، ولعل من حكمة ذلك ما قيل: أنه مبعوث لجميع بني آدم من آدم فمن دونه، والأنبياء إنما هم نواب عنه في تبليغ الشرائع لأولئك الأمم، وهذا العرض يحتمل أن يكون مناماً، ورؤيا الأنبياء وحي، أو في اليقظة ليلة الإسراء أو غيرها، والله يكرم نبيه بما شاء **(فرأيت)** أبصرت إن كانت يقظة، أو رأي حلمية إن كانت مناماً **(النبي)** أل فيه للماهية، أي: المتصف بالنبوة، ويظهر أن المراد به الرسول **(ومعه الرهيط)** بضم المهملة وفتح الهاء وسكون التحتية آخره طاء مهملة أيضاً، وفي مختصر القاموس الرهط، ويحرك قوم الرجل وقبيلته، أو من ثلاثة أو سبعة إلى عشرة، أو ما دون العشرة وما فيهم امرأة، ولا واحد له من لفظه، جمعه أرهط وأرهاط وأراهط. قلت: الرهط من الرجال ما دون العشرة، وقيل: إلى الأربعين ا هـ. والجملة في محل الحال؛ لتصديرها بالواو، بناء على أن رأي الحلمية لا تنصب مفعولين، وأن المنصوب الثاني بعدها في محل الحال، وهو الذي رجحه ابن هشام في بعض كتبه **(والنبي ومعه الرجل والرجلان والنبي)** حال كونه **(ليس معه أحد)** فإن قلت: النبي هو المخبر عن الله للخلق، فأين الذين أخبرهم،

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٢.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٢.

أَحَدٌ، إِذْ رُفِعَ لِي سَوادٌ عَظِيمٌ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي، فَقِيلَ لي: هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ، وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الأُفُقِ. فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لي: انْظُرْ إِلَى الأُفْقِ الآخَرِ فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لي: هَذِهِ أُمَّتُكَ وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفاً يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ» .....

قلت: ربما أخبر ولم يؤمن به أحد، ولا يكون معه إلا المؤمن **(إذ رفع)** بالبناء للمفعول **(لي سواد)** أي: أشخاص وهو كما في مختصر القاموس الشخص، ومن البلدة قراها، والعدد الكثير من أهلها ومن الناس عامتهم ا هـ. ولذا قال القرطبي: أي أشخاص كثيرة، ويجمع على أسودة **(عظيم)** لكثرته **(فظننت أنهم)** أي: السواد الذي هو الأشخاص، وباعتباره جمع الضمير العائد إليه **(أمتي فقيل لي هذا)** أي: السواد العظيم **(موسى وقومه)** أي: أمته المؤمنون **(ولكن انظر إلى الأفق)** بضم الهمزة والفاء وبسكونها كما في الصحاح. وعبارته الآفاق النواحي، الواحد أفق وأفق مثل عسر وعسر انتهت، وبالقاف[1] الناحية. وجوز الحافظ السيوطي أن يكون الأفق واحداً وجمعاً، كالفلك، ويجمع أيضاً على آفاق **(فنظرت فإذا سواد عظيم فقيل لي: انظر إلى الأفق الآخر فإذا سواد عظيم)** أي: غير السواد الأول، إذ النكرة إذا أعيدت كانت الثانية غير الأولى غالباً **(فقيل لي: هذه)** أي: مجموع السوادين العظيمين **(أمتك)** أي: المؤمنون كما تقدم نظيره **(ومعهم سبعون ألفاً)** يحتمل أن يكون معناه، ومن أمتك غير هؤلاء سبعون ألفاً، ويحتمل أن يكون معناه، وفي جملة هذه «الأسودة» سبعون ألفاً **(يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب)** ويؤيد الاحتمال الثاني رواية البخاري في صحيحه: **«هذه أمتك ويدخل الجنة من هؤلاء سبعون ألفاً»** فالسبعون ألفاً من أمته بلا شك. **(وعذاب)** بفتح المهملة وبالذال المعجمة، وفي نسخة **(عقاب)** بكسر المهملة وبالقاف وجملة: **(يدخلون الجنة)** الخ. صفة أو حال من سبعون، لتخصيصه بالظرف قبله. فإن قلت: هل يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب وإن كانوا أصحاب معاصي ومظالم؟ قلت: الذين كانوا بهذه الأوصاف الأربعة المذكورة في الحديث؛ لا يكونون إلا عدولاً مطهرين من الذنوب، أو ببركة هذه الصفات يغفر الله لهم ويعفو عنهم **(ثم نهض)** ﷺ قبل بيان السبعين المذكورين **(فدخل منزله فخاض)** بالخاء والضاد المعجمتين أي: تكلم **(الناس)** والمراد منهم الصحابة وتناظروا **(في)** تعيين **(أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب)** وفي البخاري: فأفاض الناس وهو بمعناه يقال: أفاض الناس في

---

(١) عطف على قوله بضم الهمزة والفاء وبسكونها، وما بينهما اعتراض. ع

ثُمَّ نَهَضَ فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ، فَخَاضَ النَّاسُ فِي أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ. فَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ صَحِبُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَقَالَ بَعْضُهُم: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الْإِسْلَامِ فَلَمْ يُشْرِكُوا بِاللَّهِ. وَذَكَرُوا أَشْيَاءَ، فَخَرَجَ عَلَيْهِم رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «مَا الَّذِي تَخُوضُونَ فِيهِ؟» فَأَخْبَرُوهُ، فَقَالَ: هُمُ الَّذِينَ لَا يَرْقُونَ وَلَا يَسْتَرْقُونَ وَلَا يَتَطَيَّرُونَ وعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ»، فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ

الحديث إذا تباحثوا فيه وناظروا عليه وتناظروا، وفي الحديث إباحة المناظرة في العلم، والمباحثة في نصوص الشرع على جهة الاستفادة وإظهار الحق **(فقال بعضهم: فلعلهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ)** أي: السابقون الذين صحبوه وقاموا بنصرة الدين، وهجروا الأهل والأوطان لذلك **(وقال بعضهم: فلعلهم الذين ولدوا)** بالبناء للمفعول **(في الإسلام)** أي: وإن لم يرهم ﷺ وفضلهم ما أشاروا إليه بقولهم **(فلم يشركوا بالله)** فيه دليل على شرف المسلم أصالة على من كان كافراً ثم أسلم، ويدل له ما ذكره الفقهاء في تقديم من دخل آباؤه في الإسلام، على من تأخر آباؤه في الدخول فيه في الإمامة **(وذكروا أشياء)** من الاحتمالات في التعيين **(فخرج عليهم رسول الله ﷺ)** أي: عقب خوضهم في ذلك، كما تشعر به الفاء، إراحة لهم من الخوض فيما لا سبيل لهم لمعرفته إلا من جهته ﷺ **(فقال: ما الذي تخوضون فيه فأخبروه فقال: هم الذين لا يرقون ولا يسترقون)** أي: يطلبون الرقية لهم من الغير، وقد اختلف العلماء في هذا المقام مع ورود السنة، فعلاً وإذناً بجواز الرقية والاسترقاء، والذي رجحه المصنف والقرطبي وغيرهما من ذلك، ما قاله الخطابي وغيره: أن المراد ترك ذلك توكلاً ورضاً بقضاء الله تعالى وبلائه، قال الخطابي: وهذه من أرفع درجات المتحققين بالإيمان، قال وإلى هذا ذهب جماعة سماهم، قال المصنف: وحاصله أن هؤلاء كمل تفويضهم إلى الله تعالى، فلم يسعوا في دفع ما أوقعه بهم، ولا شك في رجحان هذه الحال وفضيلة صاحبها، وأما تطبيبه ﷺ فلبيان الجواز اهـ وقال القرطبي: الرقي والاسترقاء، ما كان منه برقي الجاهلية أو بما لا يعرف؛ فواجب اجتنابه على سائر المسلمين، واجتنابه حاصل من أكثرهم، فلا يكون اجتناب ذلك هو المراد هنا، ولا اجتناب الرقي بأسماء الله تعالى وبالمروي عن رسول الله ﷺ، لأن ذلك التجأ إلى الله تعالى، قال: ويظهر لي ــ والله أعلم ــ أن المقصود اجتناب رقي خارج عن القسمين، كالرقيا بأسماء الملائكة والأنبياء والصالحين، كما يفعله كثير ممن يتعاطى الرقيا فهذا ليس من قسم المحظور الذي يعم اجتنابه، ولا من قبيل الرقيا التي فيها اللجأ إلى الله تعالى، فهذا القسم المتوسط يلحق بما

مُحْصَنٍ فَقَالَ: آدْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ. فَقَالَ: «أَنْتَ مِنْهُمْ» ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ آخَرُ فَقَالَ: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ. فَقَالَ: «سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ» .....

يجوز فعله، غير أن تركه أولى من حيث إن الرقى بذلك تعظيم، وفيه تشبيه للرقي به بالرقي بأسمائه تعالى وكلماته، فينبغي اجتنابه، كاجتناب الحلف بغير الله تعالى ا هـ **(ولا يتطيرون)** أي: يتشاءمون بالطيور ونحوها مما يتشاءم به، أي: لا يرجعون عما عزموا عليه عند وجود ما جرت به عادة الجاهلية من التطير به، والوقوف عن الفعل معه من الجوائح والسوائح، وسيأتي في هذا بسط **(وعلى ربهم)** لا على غيره في سائر أحوالهم **(يتوكلون)** وهؤلاء هم القائمون بأعلى مقام التوكل بترك الأسباب، وعدم معاطاتها رضا بتصرف المولى فيهم، واكتفاء تدبيره تعالى عن تصرف كل وتدبيره **(فقام عكاشة بن محصن)** بكسر الميم وسكون المهملة الأولى وفتح الثانية، ابن حرثان، بضم المهملة وسكون المهملة بعدها مثلثة وبعد الألف نون، ابن قيس بن مرة بن كثير بن غنم بن داود بن أسد بن خزيمة **(الأسدي)** بفتح أوليه وبالمهملتين. حليف بني عبد شمس، وكان عكاشة من أفاضل الصحابة وخيارهم وشجعانهم، له ببدر المقام المشهور، وذلك أنه ضرب بالسيف في الكفار حتى انقطع، فأعطاه ﷺ جزل حطب فأخذه فهزه في يده فعاد سيفاً صارماً فقاتل به حتى فتح الله على المسلمين، وكان ذلك السيف يسمى العون، ولم يزل عنده يشهد به المشاهد مع رسول الله ﷺ حتى قتل عكاشة وهو معه، وقتل في قتال أهل الردة في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، قتله طليحة بن خويلد الأسدي، هذا قول أهل السير، وقال سليمان التيمي: أرسله رسول الله ﷺ إلى بني أسد سرية، فقتله طليحة، قال ابن الأثير: وهو وهم، وإنما قاله لقرب الحادثة من عهد رسول الله ﷺ، وكان عكاشة يوم توفي رسول الله ﷺ، ابن أربع وأربعين سنة، وكان من أجمل الرجال ا هـ. وقال ﷺ: «منا خير فارس في العرب» قالوا: ومن هو يا رسول الله؟ قال: «عكاشة بن محصن» ــ رضي الله عنه ــ ولقوة يقينه وشدة حرصه على الخير ورغبته فيما عند الله تعالى سبق الصحابة كلهم **(فقال: ادع الله لي أن يجعلني منهم فقال: أنت منهم)** يحتمل كونه منهم لدعائه ﷺ له بذلك، ويحتمل لكونه كان موصوفا بتلك الأوصاف الجميلة، ويحتمل أنه أوحي إليه بأنه منهم وفي جملتهم، والله أعلم بحقيقة الحال. ثم رأيت الكرماني نقل الأول قولاً عن بعضهم **(ثم قام رجل آخر فقال: ادع الله أن يجعلني منهم فقال:)** له لما لم يكن عنده ما عند عكاشة من تلك الأحوال الشريفة **(سبقك بها)** أي: في الفضل بالدعوة إلى منزلة أصحاب هذه الأوصاف **(عكاشة)** وكره أن يقول له:

مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وَ«الرُّهَيْطُ» بضمِّ الراءِ: تصغير رهطٍ، وهم دون عشرة أَنْفُسٍ، و«الْأُفُقُ» النَّاحِيَةُ وَالْجَانِبُ. وَ«عُكَّاشَةُ» بِضَمِّ الْعَيْنِ وَتَشْدِيدِ الْكَافِ وَبِتَخْفِيفِهَا وَالتَّشْدِيدُ أَفْصَحُ[1].

٧٥ ــ الثَّاني عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَيْضاً أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ:

لست من أهل هذه الطبقة، لأنه لكمال فضله لا يواجه أحداً بما يكره، فجاء بكلام موفٍ للغرض وفيه التعريض بالمراد. قال الكرماني: قيل: يحتمل أن يكون سبقك عكاشة بوحي أنه يجاب فيه، ولم يحصل ذلك للآخر وقال القرطبي: لئلا يطلب كلٌّ مثل ما طلب عكاشة فسد الباب بحسن ذلك الجواب، وهذا أولى مما قيل: كان ذلك الرجل منافقاً لوجهين: أحدهما أن الأصل في الصحابة الإيمان والعدالة، فلا يظن بأحد منهم خلاف الأصل، ولا يسمع منه ذلك إلا بالنقل الصحيح، والثاني أنه قل أن يصدر مثل هذا السؤال من منافق، إذ لا يصدر غالباً عن تصديق صحيح ويقين بما عند الله تعالى ا هـ. قلت: قد صرح الخطيب بأن ذلك الرجل سعد بن عبادة كما نقله عنه الكرماني، وبه يبطل ذلك القول **(متفق عليه)** ورواه أحمد بنحوه وليس فيه ذكر عكاشة **(والرهيط بضم الراء)** المهملة أوله وسكون التحتية **(تصغير رهط)** بفتح فسكون **(وهم دون عشرة أنفس)** سبق بيان الأقوال فيه، والخلاف في ذلك **(والأفق الناحية والجانب)** عطف مرادف. ففي الصحاح الجانب: الناحية، وكذا الجنبة **(وعكاشة بضم العين)** المهملة **(وتشديد الكاف)** قال في القاموس: بوزن رمانة **(وبتخفيفها)** قال القرطبي: قال ثعلب: وقد تخفف. قلت: ولعله منقول من عكاشة بالتخفيف اسم لبيت النمل، أو مأخوذ من عكش الشعر يعكش إذا التوى ا هـ. **(والتشديد أفصح)**.

٧٥ ــ الحديث **(الثاني: عن ابن عباس رضي الله عنهما أيضاً)** منصوب على المصدرية، وقيل: على الحالية كلمة تقال للاتفاق بين الشيئين معنى، ويمكن الاستغناء بأحدهما عن الآخر، وقد ثبت نطقه ﷺ بها كما في صحيح البخاري ومسلم وغيرهما وقد بسطت الكلام فيها في باب فضل الذكر من شرح الأذكار، والمعنى هنا أروي الحديث الثاني رجوعاً للرواية، أو حال كوني راجعاً للرواية. عن ابن عباس **(أن رسول الله ﷺ)** بفتح الهمزة في

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الطب، باب: من اكتوى أو كوى غيره (١٠/ ١٣٠، ١٣١).
وأخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب. (الحديث: ٣٧٤).

«اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ؛ اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ لَا إِلَـهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْ تُضِلَّنِي، أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا تَمُوتُ، وَالْجِنُّ وَالإِنْسُ يَمُوتُونَ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وَهَذَا لَفْظُ مُسْلِمٍ وَاخْتَصَرَهُ الْبُخَارِيُّ[1].

تأويل مصدر مبتدأ مخبر عنه بالظرف السابق (كان يقول: اللهم) أي: يا الله (لك) لا لغيرك كما يؤذن به تقديم الظرف (أسلمت) قال ابن عبد البر: استسلمت لحكمك وأمرك، وسلمت ورضيت وآمنت وصدقت وأيقنت ا هـ. (وبك) أي: بذاتك وما يجب لها من أوصاف الكمال (آمنت) أي: صدقت (وعليك توكلت) ركنت إليك في سائر الأمور، وخرجت عن تدبيري لنفسي وحولي وقوتي اكتفاءً بما سبقت به الإرادة وجرت به الأقدار (وإليك أنبت) من الإنابة الرجوع، وتختص بالرجوع إلى الخير، كما في التمهيد لابن عبد البر. أي: رجعت إلى عبادتك والإقبال على ما يقرب منك. وقيل: رجعت بالتوبة واللجأ والذلة والمسكنة، وقيل: رجعت إليك في تدابير الأمور وتصاريفها، فيكون بمعنى: وعليك توكلت (وبك) أي: بما أعطيتني من البرهان والحجج القولية، أو بالنصرة ونحوها من الحجج الفعلية (خاصمت) أعداء الدين فقصمت ظهورهم بالبراهين القوية، وقطعت دابرهم بالسيوف والرماح السمهرية (اللهم إني أعوذ) اعتصم والتجىء (بعزتك) أي: بقوتك وقدرتك وسلطانك وغلبتك (لا إله إلا أنت) جملةً معترضةً لتأكيد العزة والاعتصام بحبله تعالى وقوله (أن تضلني) أصله من أن تضلني، متعلق بأعوذ، وحذف الجار من أن وأن قياسٌ مطردٌ، وتضلني بضم الفوقية من الإضلال (أنت الحي) على الدوام (القيوم) بفتح القاف وتشديد التحتية، القائم بتدبير الخلق وحفظه (الذي لا يموت) بالتحتية نظراً لكونه صلة للذي، وبالفوقية نظراً لضمير الخطاب قبله، وهو كالتأكيد لما قبله، لأن من شأن القائم بالتدبير والحفظ ألا يموت؛ لأن من لا يحفظ حياة نفسه كيف يحفظ حياة غيره (والجن) أي: الشامل للملك (والإنس) أي: وأتباعهم من الحيوانات والحشرات (يموتون) فيه تنبيه على سبب التوكل عليه ورد الأمر إليه دون غيره، وهو أن غيره يموت ويضمحل شأنه ويفوت، والتوكل إنما هو على الحي الذي لا يموت، فمَن اعتز بغير الله ذل، ومن اهتدى بغير هدايته ضل، ومن اعتصم بالله تعالى وتوكل عليه عز وجل (متفق عليه) ورواه النسائي أيضاً (وهذا) المذكور (لفظ مسلم) في روايته (واختصره البخاري) فقال: عن ابن عباس أن النبي ﷺ كان يقول: «أعوذ بعزتك

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: التوحيد، باب قول الله تعالى وهو العزيز الحكيم: (الحديث: ٦٩٤٨).
وأخرجه مسلم في كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل. (الحديث: ٦٨).

٧٦ ــ الثَّالِثُ عِنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَيضاً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَام حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَقَالَها مُحَمَّدٌ ﷺ حِينَ قَالُوا: إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوهُمْ، فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ» رَوَاهُ

لا إله إلا أنت أنت الذي لا تموت والجن والإنس يموتون».

٧٦ ــ الحديث (**الثالث**: عن **ابن عباس رضي الله عنهما**) قال القاري في شرح الحصن الحصين: إنه موقوف خلاف ما أورده الشيخ، يعني ابن الجزري. قلت: وكأنه لما رأى أن الحديث في حكم المرفوع سكت عليه اعتماداً على أنه مرفوع في بعض طرقه ا هـ (**قال: حسبنا الله ونعم الوكيل**) تقدم الكلام في معناه أول الكتاب (**قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار**) في تفسير القرطبي قال ابن إسحاق: ــ بعد ذكر المنجنيق ــ وما هيؤوه من الحطب فضجت السموات والأرض ومن فيهن من الملائكة وجميع الخلق ــ إلا الثقلين ــ ضجة واحدة: ربنا إبراهيم ليس في أرضك أحد يعبدك غيره، فبك فأذن لنا في نصرته فقال تعالى: إذ استعان بشيء منكم أو دعاه فلينصره، فقد أذنت له في ذلك، وإن لم يدع غيري فأنا أعلم به، وأنا وليه. فلما أرادوا إلقاءه في النار أتاه خازن الماء وهو في الهوي، فقال: يا إبراهيم إن أردت أخمدتُ النار بالماء. فقال: لا حاجة لي فيك. فأتاه ملك الريح فقال: لو شئت طيرت النار. فقال: لا. ثم رفع رأسه إلى السماء فقال: «اللهم أنت الواحد في السماء وأنا الواحد في الأرض ليس أحد يعبدك غيري، حسبي الله ونعم الوكيل». ثم ذكر باقي القصة (**وقالها محمد ﷺ حين قالوا**) أي: قال الناس له ﷺ (**إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل**) قضية هذا أن يكون الذين الواقع أول الآية وضمائر الجمع بعده مما أريد به الواحد، وهو النبي ﷺ، فيكون نظير قوله تعالى: ﴿أم يحسدون الناس﴾ [1] فإن المراد منه النبي ﷺ، وكذلك الناس في قوله تعالى: ﴿قال لهم الناس﴾[2] فإن المراد منه كما تقدم أول الباب: نعيم بن مسعود، لكن تقدم أول الباب أن المراد من الذين وما بعده، الصحابة. وذلك الذي ذكره السيوطي في تكملته لتفسير الجلال المحلي، ولا مخالفة، فلعل ابن عباس اقتصر عليه لأنه الأصلَ المتبوع ﷺ (**رواه**

---

(١) سورة النساء، الآية: ٥٤.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٧٣.

الْبُخَارِيُّ. وَفِي رِوَايَةٍ لَهُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «كَانَ آخِرَ قَوْلِ إِبْرَاهِيمَ ﷺ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ: حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ»(١).

٧٧ ــ الرَّابِعُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَقْوَامٌ أَفْئِدَتُهُمْ مِثْلَ أَفْئِدَةِ الطَّيْرِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ. قِيلَ مَعْنَاهُ: مُتَوَكِّلُونَ. وَقِيلَ: قُلُوبُهُمْ رَقِيقَةٌ(٢).

البخاري) والنسائي أيضاً **(وفي رواية له)** أي: البخاري **(عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان آخر قول إبراهيم صلى الله على نبينا وعليه وعلى سائر النبيين وسلم)** هكذا ينبغي أن يقال عند ذكر باقي الأنبياء **(حين ألقي في النار حسبي الله)** أي: بالأفراد، وقد جاء ذلك عن ابن إسحاق في السيرة كما تقدم، أي: محسبي أي كافي الله **(ونعم الوكيل)** فهو من عطف الجملة الخبرية على مثلها. قال السيوطي في التوشيح لأبي نعيم في المستخرج: إنها أول ما قاله، فلعلها أول شيء قاله وآخر شيء قاله، وقد بسطت الكلام في إعرابها وما فيه في أوائل شرح الأذكار، وذكرت خلاصة أوائل هذا الشرح الحديث.

٧٧ ــ **(الرابع: عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: يدخل الجنة)** ظاهره مع الفائزين، كما يدل عليه سياقه في مقام المدح لهم، ولا فجميع أهل الإيمان يدخلون الجنة بوعد الله الذي لا يخلف **(أقوام)** جمع، واحده قوم، وفي مفردات الراغب كما تقدم: القوم جماعة الرجال في الأصل دون النساء، ولذا قال تعالى: ﴿لا يسخر قوم من قوم... ولا نساء من نساء﴾(٣) وفي عامة القرآن أريد به الرجال والنساء. اهـ وظاهر أن ما نحن فيه من قبيل الثاني **(أفئدتهم)** في مختصر القاموس: الفؤاد القلب مذكراً، أو هو ما يتعلق بالمرء من كبد ورئة وقلب، وجمعه أفئدة. اهـ وفي كتاب الإيمان من شرح مسلم للمصنف المشهور، أن الفؤاد: هو القلب. وقيل: الفؤاد داخل القلب. أي: الطبقة القابلة للمعاني من المعلوم وغيرها **(مثل أفئدة الطير)** جمع طائر، ويقع على واحد وجمعه طيور وأطيار **(رواه مسلم)** ورواه أحمد **(قيل معناه)** أقوام **(متوكلون)** ففي الحديث الآتي: «لو اتكلتم على الله حق اتكاله لرزقكم كما يرزق الطير». وفيه إشارة إلى أنها لما لم تتسبب للأرزاق بتدابيرها، يسر الله وصول الرزق إليها مع ضعفها وقلة حيلتها **(وقيل: قلوبهم رقيقة)** أي: فهي أسرع فهماً وقبولاً للخير وامتثالاً له.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير/آل عمران. باب إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم (١٧٢/٨).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير. (الحديث: ٢٧).

(٣) سورة الحجرات، الآية: ١١.

تَأْخُذُهُ أَوْ تَطْلُبُهُ مِنْ مَالِي. وَفِي رِوايةِ البُخَارِيِّ: «لَا أَحْمَدُكَ» بِالْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ وَالمِيم. وَمَعْنَاهُ: لَا أَحْمَدُكَ بِتَرْكِ شَيْءٍ تَحْتَاجُ إِلَيْهِ، كَمَا قَالوا: لَيْسَ عَلَى طُولِ الْحَيَاةِ نَدَمٌ: أَيْ عَلى فَواتِ طُولِهَا[1].

٦٦ ــ السَّابِعُ عَنْ أَبِي يَعْلَى شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: الكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ .....

مالي) بأن أمنعه قال القرطبي: قال صاحب الأفعال: جهدته وأجهدته. بالغت في مشقته. وقيل: معنى أجهدك، لا أقلل لك فيما تأخذه. والجهد ما يعيش به المقل ومنه ﴿والذين لا يجدون إلا جهدهم﴾[2] **(وفي رواية البخاري)** وهي عند ابن ماهان كما قال القرطبي **(لا أحمدك بالحاء)** المهملة **(والميم)** وبلا النافية **(ومعناه لا أحمدك بترك شيء تحتاج إليه)** فهو على تقدير المضاف وذلك لطيب نفسي بما تأخذه **(كما قال)** أي: الشاعر **(ليس على طول الحياة ندم أي: على فوات طولها)** وقال الشاعر:

أتوب إليك يا مولاي مما ... علي به تواترت الذنوب
وأما عن هوى ليلى وتركي ... زيارتها فإني لا أتوب

أي: وعدم تركي زيارتها. قال الكرماني في شرح البخاري: أو أنه من قولهم: فلان يتحمد أي: يمتن. يقال من أنفق ماله على نفسه فلا يتحمد به على الناس، قال وروي «لأحمدك» باللام فقط قبل المضارع من الحمد.

٦٦ ــ **(السابع عن أبي يعلى)** بفتح التحتية وسكون المهملة **(شداد بن أوس)** بفتح الشين المعجمة وتشديد الدال الأولى **(رضي الله عنه)** وأوس بفتح الهمزة وسكون الواو آخره سين مهملة ابن ثابت ابن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد بن مناة بن عدي بن عمرو بن مالك بن النجار الأنصاري، وهو ابن أخي حسان بن ثابت الجامع بين العلم، والعمل، والحلم. مات بفلسطين سنة ثمان وخمسين، وهو ابن خمس وسبعين سنة وقال المصنف في التهذيب: مات ببيت المقدس، وقبره بظاهر باب الرحمة باق إلى الآن ا هـ. روي له عن رسول الله ﷺ خمسون حديثاً أخرجا له حديثين، انفرد بأحدهما البخاري، وبالآخر مسلم **(عن النبي ﷺ قال: الكيس)** العاقل **(من دان نفسه)** أي: حاسبها ومنعها مستلذاتها وشهواتها التي فيها

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الأنبياء، باب: ما ذكر عن بني إسرائيل (٦/٣٦٤، ٣٦٥).
وأخرجه مسلم في كتاب: الزهد والرقائق، باب: الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر. (الحديث: ١٠).

(٢) سورة التوبة، الآية: ٧٩.

عَلَيَّ سَيْفِي وَأَنَا نَائِمٌ فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ فِي يَدِهِ صَلْتاً قَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قُلْتُ: اللَّهُ. ثَلَاثاً»، وَلَمْ يُعاقِبْه وَجَلَسَ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وَفِي رِوَايَةٍ قَالَ جَابِرٌ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِذاتِ الرِّقَاعِ، .....

ا هـ. فلعلها تعددت، فيجمع بين الأقوال بتعدد الغزوة وتعدد الأعرابي. وقضية كلام البخاري في المغازي من صحيحه، أن ذات الرقاع يقال لها ذو قرد والله أعلم. **(فقال إن هذا اختراط على سيفي وأنا نائم)** وفي سيرة ابن سيد الناس عن جابر **(أن النبي ﷺ كان جالساً، وأن السيف كان في حجره ﷺ فقال: يا محمد، انظر إلى سيفك هذا. قال: نعم. فأخذه واستله، ثم جعل يهزه ويهم بقتل النبي ﷺ، فيكبته الله. ثم قال: يا محمد، أما تخافني؟. قال: ما أخاف منك. قال: وفي يدي السيف. قال: لا يمنعني الله منك)** الحديث: وظاهر أن ما في الصحيح مقدم على ما في غيره **(فاستيقظت)** أي: عقب اختراطه قبل تمكنه من الفتك به، ويحتمل أن يكون بعد تمكنه من الفتك به، وعصم الله تعالى نبيه وكبت عدوه **(وهو في يده صلتا)** حال (قال) أي: الأعرابي مخاطباً للنبي ﷺ **(من يمنعك مني)** استفهام يتضمن النفي، كأنه قال: لا مانع لك مني. ظن لقصور نظره أن السيف هو القاتل، ولم يدر أن الله هو الفاعل، وأنه يحول بين المرء وقلبه **(فقلت: الله)** أي: يمنعني منك؛ فيكون مبتدأ محذوف الخبر بقرينة وجوده في السؤال، ويحتمل أن يكون التقدير يمنعني الله، فيكون فاعلاً حذف عامله لما ذكر فيما قبله **(ثلاثاً)** الظاهر أنه قيد في الجواب فقط، وكأنه ﷺ أعاد هذا اللفظ ثلاثاً تلذذاً به، ولغلبة توحيده وكمال شهوده؛ لم ينزعج قلبه الشريف، بل كان على حاله المنيف في أن قرة عينه في مشاهدته لمولاه ومناجاته. ويحتمل أنه كرر قوله: من يمنعك. فكرر ﷺ قوله: الله في جوابه وقد وقع في نسخة من البخاري من يمنعك مني من يمنعك مني، فكررها مرتين. **(و)** من ﷺ و **(لم يعاقبه)** ففيه العفو والحلم، ومقابلة السيئة بالحسنة **(وجلس)** أي: النبي ﷺ من اضطجاعه الذي كان عليه حال نومه، فيكون حالاً من مفعول يدعونا[1]، وعليه اقتصر الشيخ زكريا أو جلس الأعرابي من قيامه الذي كان عليه؛ حال اختراط السيف لأمنه **(متفق عليه)** في السيرة لابن سيد الناس عن جابر أن في ذلك نزل قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمت الله عليكم إذ هَمَّ قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم﴾[2] الآية **(وفي رواية للبخاري قال جابر: كنا مع رسول الله ﷺ بذات الرقاع)** أي: بغزوة ذات الرقاع، وسميت بذلك لأنهم رقعوا فيها راياتهم، ويقال: ذات

---

(١) لعله: من فاعل يدعونا. ش

(٢) سورة المائدة، الآية: ١١.

فَإِذَا أَتَيْنَا عَلَى شَجَرَةٍ ظَلِيلَةٍ تَرَكْنَاهَا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَسَيْفُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُعَلَّقٌ بِالشَّجَرَةِ، فَاخْتَرَطَهُ فَقَالَ: تَخَافُنِي؟ قَالَ: «لَا» فَقَالَ: فَمَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قَالَ: «اللَّهُ» وفي رِوَايَةِ أَبي بَكْر الإسماعيليّ في صَحِيحِه قَالَ: من يَمْنَعُك مِني؟ قَالَ: اللَّهُ فَسَقَطَ السَّيْفُ مِنْ يَدِهِ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ السَّيْفَ، فَقَالَ: «مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟» فَقَالَ: كُنْ خَيْرَ آخِذٍ. فَقَالَ: «تَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ؟» قَالَ: لَا، وَلَكِنِّي أُعَاهِدُكَ أَنْ لَا أُقَاتِلَكَ وَلَا أَكُونَ مَعَ قَوْمٍ يُقَاتِلُونَكَ، فَخَلَّى سَبِيلَهُ، فَأَتَى أَصْحَابَهُ، فَقَالَ: جِئْتُكُمْ

الرقاع شجرة بذلك الموضع وقيل: لأن أقدامهم نقبت فكانوا يلفون عليها الخرق، وقيل: بل الجبل الذي نزلوا عليه كانت أرضه ذات ألوان تشبه الرقاع، وسيأتي هذا مع زيادة في سبب التسمية وبيان تاريخ الغزوة في باب القناعة إن شاء الله تعالى **(فإذا أتينا)** معطوفٌ على كنا **(على شجرة ظليلة)** أي: ذات ظل كثيف لتراكم أغصانها وكثرة أوراقها **(تركناها لرسول الله ﷺ)** لأنه السيد المقدم **(فجاء رجل من المشركين وسيف رسول الله ﷺ معلق بالشجرة)** جملة حالية **(فاخترطه)** أي: سله بسرعة **(فقال: تخافني)** أي: أتخافني **(فقال:) ﷺ (لا)** أي: لا أخافك لعلمه بأن الفاعل المختار هو الواحد القهار. فقام الحرف مقام جملة الجواب بقرينة وجود ما يدل عليه في السؤال **(قال:)** الأعرابي **(فمن يمنعك مني)** أي: بالحيلولة بيني وبين ما أريد من الفتك **(قال: الله)** أي: الله يمنعني منك ويحول بينك وبين ما تريد **(وفي رواية أبي بكر الإسماعيلي في صحيحه)** وكذا أخرجه أبو عوانة من حديث جابر المستخرج على صحيح البخاري **(فقال:)** أي: الأعرابي **(من يمنعك مني، قال: الله فسقط السيف من يده فأخذ رسول الله ﷺ السيف فقال:)** للأعرابي **(من يمنعك)** أي: من البشر. أي: لا مانع لك الآن **(مني فقال: كن خير آخذ)** أي: بأن تعفو وتصفح وتقابل السيئة بالحسنة **(فقال ﷺ: تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فقال: لا ولكن)** استدراك بما قد يوهمه عدم إسلامه من شهوده مع محاربيه ﷺ فنفى ذلك بقوله: ولكن **(أعاهدك أني لا أقاتلك ولا أكون مع قوم يقاتلونك)** فرأى ﷺ المصلحة في العفو عنه رجاء إسلام قومه وإقبالهم على حضرته الشريفة، لما يسمعون بمحاسن هذه الأخلاق وكمال هذا الكرم، فيسمعون منه ما يكون سبب إسلامهم وسعادتهم الأبدية **(فخلى سبيله)** أي: من عليه وأطلقه من غير فداء، وفي قصة دعثور التي استظهر ابن سيد الناس وابن النحوي أنها وهذه قصة

مِنْ عِنْدِ خَيْرِ النَّاسِ» قَوْلُهُ: «قَفَلَ»: أَيْ رَجَعَ. وَالْعِضَاهُ: الشَّجَرُ الَّذِي لَهُ شَوْكٌ. وَ«السَّمُرَةُ» بِفَتْحِ السِّينِ وَضَمِّ الْمِيمِ: الشَّجَرَةُ مِنَ الطَّلْحِ، وَهِيَ الْعِظَامُ مِنْ شَجَرِ العِضَاهِ. وَ«اخْتَرَطَ السَّيْفَ» أَيْ سَلَّهُ. «وَهُوَ فِي يَدِهِ صَلْتاً»: أَيْ مَسْلُولاً. وَهُوَ بِفَتْحِ الصَّادِ وَضَمِّها[1].

واحدة أن جبريل دفع في صدره فوقع السيف من يده، ثم أسلم ثم جاء قومه يدعوهم إلى الإسلام. ولعله قال هذا المذكور هنا من امتناعه من الإسلام أولاً، ثم شرح الله صدره في المجلس بحلول نظر المصطفى ﷺ عليه وملاحظته له فأسلم. وسكت عن ذلك رواة الصحيح إما نسياناً أو لسبب آخر وذكره غيرهم، ويقربه قوله (**فأتى أصحابه**) أي: قومه الذين كان تعاقد معهم على الفتك برسول الله ﷺ (**فقال: جئتكم من عند خير الناس**) خَلقاً وخُلُقاً، ويكفيك في شرف خلقه وكماله قوله تعالى: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾[2] وسئلت عائشة عن خلقه ﷺ فقالت: كان خلقه القرآن (**قوله: قفل**) بالقاف والفاء (**أي رجع من السفر. العضاه**) بكسر العين المهملة والضاد المعجمة والواحدة عضه، فالهاء أصلية وقيل: عضهة وقيل: عضاهة فحذفت الهاء الأصلية كما حذفت من الشفة ثم ردت في العضاه كما ردت في الشفاه، وقد يقال: عضة مثل عزة ثم يجمع على عضوات، ويقرأ العضاه بالهاء وقفاً ووصلاً؛ لأن جمعه جمع تكسير وليس بجمع سلامة، فهو مثل شفاه وشياه. كذا في التوضيح على الجامع الصحيح لابن النحوي (**الشجر الذي له شوك السمرة بفتح السين**) المهملة (**وضم الميم**) وبعدها راء جمعه سمر (**الشجرة من الطلح**) بفتح المهملة أوله وسكون اللام بعدها مهملة وهو العوسج (**وهي**) أي: الطلح والتأنيث بالنظر إلى الخبر أي: قوله (**العظام**) أي: الكبار (**من شجر العضاه واخترط السيف أي: سله**) قال ابن النحوي: بسرعة (**وهو في يده صلتاً أي: مسلولاً وهو بفتح الصاد**) المهملة (**وضمها**) وسكون اللام فيهما قال في جامع الأصول كالنهاية والصحاح الصلت المشهور. يقال: أصلت السيف إذا شهرته اهـ أي: أن فعله من الثلاثي المزيد، وفي كتاب الأفعال لابن القوطية صلت الشيء برز وأصلت الشيء أبرزته.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: **الجهاد**، باب: من علق سيفه بالشجرة في السفر والمغازي باب غزوة ذات الرقاع (٦/٧١).
وأخرجه مسلم في كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: بين كل أذانين صلاة. (الحديث: ٣١١).

(٢) سورة القلم، الآية: ٤.

٧٩ ــ السَّادِسُ عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ تَغْدُو خِمَاصاً وَتَرُوحُ بِطَاناً» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ. مَعْنَاهُ: تَذْهَبُ أَوَّلَ النَّهَارِ «خِماصاً»: أَيْ ضَامِرَةَ الْبُطُونِ مِنَ الْجُوعِ. وَتَرْجِعُ آخِرَ النَّهَارِ «بِطَاناً»: أَيْ مُمْتَلِئَةَ الْبُطُونِ[1].

٨٠ ــ السَّابِعُ عن أَبِي عُمَارَةَ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عنهما قَالَ: قَالَ

---

٧٩ ــ الحديث (السادس: عن عمر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لو) تحقق (أنكم تتوكلون) بفتح الهمزة أي: لو تحقق توكلكم (على الله حق توكله) بأن تعتمدوا عليه في سائر الأحوال وتروا أن الخير بيده ومن عنده (لرزقكم كما يرزق الطير) أل فيه للجنس (تغدو خماصاً) بكسر الخاء المعجمة وبعد الألف صاد مهملة جمع خميص وهو الضامر البطن، وخماصاً حال أي: خالية الأجواف من القوت (وتروح بطاناً) بكسر الموحدة جمع بطين وهو العظيم البطن وهو حال أيضاً (رواه الترمذي) وأحمد وابن ماجه والحاكم في المستدرك (وقال:) الترمذي (حديث حسن) قال المصنف: (معناه) أي: معنى الحديث المذكور (تذهب أول النهار خماصاً أي ضامرة البطن من الجوع) فمعنى الغدو: الذهاب أول النهار والرواح: ضده ولذا قال في معنى قوله وتروح بطاناً (وترجع آخر النهار بطاناً أي ممتلئة البطون) قال السيوطي في قوت المغتذى: قال البيهقي في شعب الإيمان: ليس في هذا الحديث دلالة على القعود عن الكسب، بل فيه ما يدل على طلب الرزق؛ لأن الطير إذا غدت فإنها تغدو لطلب الرزق، وإنما أراد ــ والله أعلم ــ لو توكلوا على الله تعالى في ذهابهم ومجيئهم وتصرفهم، ورأوا أن الخير بيده ومن عنده لم ينصرفوا إلا سالمين غانمين كالطير تغدو خماصاً وتعود بطاناً، لكنهم يعتمدون على قوتهم وجلدهم ويغشون ويكذبون ولا ينصحون، وهذا خلاف التوكل ا هـ.

٨٠ ــ الحديث (السابع: عن أبي عمارة) بضم العين المهملة وتخفيف الراء ويقال أبو عمرو ويقال أبو الطنبل (البراء) بفتح الموحدة وتخفيف المهملة، والمد هذا هو الصحيح المشهور عند طوائف من أهل الحديث والتاريخ والأسماء واللغة وغيرهم. قال المصنف في التهذيب: وحكى فيه القصر أيضاً (ابن عازب) بالمهملة أوله وبعد الألف زاي فموحدة، ابن

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب: الزهد، باب: في التوكل على الله. (الحديث: ٢٣٤٤).

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا فُلانُ إِذَا أَوَيْتَ إلى فِراشِكَ فَقُلْ: اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمري إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْت ظَهْري إِلَيك رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لاَ مَلْجَأَ ولاَ مَنْجا مِنْكَ .....

الحارث بن عدي بن مخدعة بن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي الحارثي المدني. أبوه عازب صحابي ذكره ابن سعد في الطبقات فلهذا قال المصنف: (**رضي الله عنهما**) استصغر البراء[1] يوم بدر، وأول مشاهده أحد وشهد بيعة الرضوان. وفي البخاري عن البراء ما جاء رسول الله ﷺ إلى المدينة مهاجراً حتى قرأت سبح اسم ربك الأعلى في سور مثلها من المفصل. روي له عن رسول الله ﷺ ثلثمائة حديث وخمسة أحاديث اتفقا على اثنين وعشرين حديثاً منها، وانفرد البخاري بخمسة عشر ومسلم بستة. نزل الكوفة وبها توفي في زمن مصعب بن الزبير رضي الله عنهما (**قال: قال رسول الله ﷺ: يا فلان**) تقدم الكلام فيه أواخر باب الصبر. هو أسيد بن حضير كما نقله المصنف في مبهماته عن الخطيب (**إذا أويت**) بالقصر على الأرجح لأنه قاصر أي: انضممت (**إلى فراشك**) وقد بسطت الكلام فيه باب ما يقول إذا استيقظ من منامه من شرح الأذكار (**فقل: اللهم إني أسلمت نفسي**) بسكون الياء وتفتح أي: ذاتي (**إليك**) أي: أسلمت وجعلت نفسي منقادة لك طائعة لحكمك راضية بقضائك قانعة بقدرك (**ووجهت وجهي إليك**) أي: أقبلت بذاتي إليك مستسلماً راضياً قانعاً، وهو مع ما قبله كالإطناب (**وفوضت أمري إليك**) أي: توكلت في جميع شؤوني الدنيوية والأخروية عليك وجعلتها رجعة إليك (**وألجأت**) أي: أسندت (**ظهري إليك**) أي: إلى حفظك، لما علمت أنه لا سند يتقوى به سواك. قال الطيبي: في الجملة إشارة إلى أنه بعد تفويض أمره الذي هو مفتقر إليه، وبه معاشه وعليه مدار أمره، ملتجىء إليه مما يضره ويؤذيه من الأسباب الداخلة والخارجة (**رغبة**) أي: طمعاً في ثوابك (**ورهبة**) أي: خوفاً من عقابك (**إليك**) متعلق برغبةٍ. كقوله: علفتها تبناً وماءً بارداً. كما قاله الكرماني. وقيل: بل تنازع فيه ما قبله، بمعنى: أني في حالة الرغبة والرهبة لا أرجع إلا إليك وقوله (**لا ملجأ**) بهمزة مفتوحة، أي: مستند ولا من يلتجأ إليه. وقيل: لا مخلص ولا مفر (**ولا منجى**) غير مهموز. وقال الحافظ ابن حجر: الأصل في ملجأ الهمز، وفي منجى عدمه، لكن لما جمعا جاز أن يهمزا وأن يترك الهمز منهما للازدواج، وأن يبقى كل على حاله. ويجوز التنوين مع القصر فتصير خمسة أوجه. قلت:

---

(١) قوله استصغر أي قيل أنه صغير السن. ع

إِلَّا إِلَيْكَ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذي أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذي أَرْسَلْتَ. فَإِنَّكَ إِنْ مُتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ مُتَّ عَلى الفِطْرَةِ، وإِنْ أَصْبَحْتَ أَصَبْتَ خَيْراً» مُتَّفَقٌ .....

وكذا يجوز التنوين مع الهمز، أي: إن لم تعمل «لا». فأن أعملتها فلا تنوين مهموزاً كان أو لا **(منك)** قال الكرماني: تنازعه ما قبله إن كان مصدرين، وإن كان اسمي مكان فلا: إذ اسم المكان لا يعمل **(إلا إليك)** أي: لا ملجأ منك إلى أحد إلا إليك، ولا منجى إلا إليك، فهو كقوله تعالى: ﴿كلا لاوزر *إلى ربك يومئذ المستقر﴾[1] فالجملة استئناف لما قبله بطريق الاستئناف البياني. ونصب رغبة ورهبة على العلة لما تقدم. أي: إن إسلامي نفسي. إلخ، معلل بالرغبة والرهبة، قال الطيبي: إنه بطريق اللف والنشر المرتب. أي فوضت أمري طمعاً في ثوابك، والجأت ظهري من المكاره إليك خوفاً من عقابك، وهو معنى صحيح بديع. ولا يظهر قول ابن حجر في شرح المشكاة أنه خلاف الصواب، كما بينته مع الفرق بين الرهبة والخوف والخشية والوجل في شرح الأذكار، وقيل: منصوبان على الحال، أي راغباً وراهباً. وقيل: على الظرفية أي: في زمن تساوي الطمع والخوف الذي هو شأن أرباب الكمال، ففي الحديث: «لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا» **(آمنت بكتابك الذي أنزلت)** قيل: الإضافة في كتابك للعهد أي: القرآن بقرينة المقام، والإيمان به إيمان بسائر الكتب ويؤيده قوله **(ونبيك)** من غير مراعاة الجار، ووقع في المصابيح بإعادته **(الذي أرسلت)** أي: أرسلته لكافة الناس بشيراً ونذيراً، ويجوز أن يراد من الكتاب والنبي الجنس **(فإنك إن مت)** بكسر الميم وضمها كما قرىء بهما في السبع إلا أن تثبت رواية بأحدهما فيوقف عندها، ثم هو على كسرها على لغة من قال: مات يمات كخاف يخاف، وعلى ضمها على لغة من قال: مات يموت كقال يقول، فهو بهما مبني للفاعل، ويجوز كونه على أحدهما مبنياً للفاعل وعلى الآخر مبنياً للمفعول **(من ليلتك)** مع اعتقاد مضمون هذا الكلام الذي أتيت به **(مت على الفطرة)** أي: على الإيمان الذي فطر الله عليه عباده. قال تعالى: ﴿**فطرت الله التي فطر الناس عليها**﴾[2] وهذا كما قال في الحديث الآخر: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة» وهما إن تساويا في فطرة الإسلام فبين الفطرتين ما بين الحالتين، ففطرة الطائفة المذكورة في هذا الخبر فطرة المقربين، وفطرة الثانية فطرة أصحاب اليقين ذكره القرطبي **(وإن أصبحت)** حياً **(أصبت خيراً)** أي: أجراً عظيماً وثواباً جزيلاً **(متفق**

---

(١) سورة القيامة، الآية: ١١ ــ ١٢.

(٢) سورة الروم، الآية: ٣٠.

عَلَيْهِ. وفي رِوايَةٍ في الصَّحِيحَيْنِ عن الْبَرَاءِ قالَ: قالَ لي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إذا أَتَيْتَ مَضْجِعَكَ فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلاةِ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلى شِقِّكَ الأَيْمَنِ وَقُلْ» وَذَكَرَ نَحْوَهُ. ثُمَّ قالَ: «وَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَقُولُ»(١).

٨١ ــ الثَّامنُ عَنْ أَبي بَكْرٍ الصِدِّيقِ عَبْدِ اللَّهِ بنِ عثمانَ بنِ عامِرِ بن عُمَرَ بن كَعْبِ بْنِ سَعدِ بن تَيْمِ بن مُرَّةَ بن

عليه) ورواه أصحاب السنن الأربعة **(وفي رواية في الصحيحين عن البراء قال: قال لي)** ولا ينافي ما تقدم للجمع بوقوع الخطاب بذلك له تارة ولأسيد أخرى **(رسول الله ﷺ: إذا أتيت مضجعك)** بفتح أوله وثالثه أي: مكان اضطجاعك **(فتوضأ وضوءك)** أي: مثله **(للصلاة)** في غسل الأعضاء بنية **(ثم اضطجع على شقك)** بكسر الشين المعجمة وتشديد القاف أي: جانبك **(الأيمن)** وذلك لشرف الأيمن ولأنه يصير القلب حينئذ متعلقاً، فلا يغتبط بالنوم، فيكون سبباً لقلة النوم والقيام بالليل **(وقل، فذكر نحوه)** أي: بمعناه ويقال مثله فيما لو كان بمبناه. هذه عادة المحدثين إذا أوردوا الحديث بإسناد ثم بإسناد آخر **(ثم قال:)** ﷺ **(واجعلهن آخر ما تقول)** أي: من الدعوات.

٨١ ــ **الحديث (الثامن عن أبي بكر الصديق)** بكسر المهملة وتشديد الثانية، وهو أول من لقب بذلك في الإسلام، وغلبت الكنية عليه وعلى أبيه. لقب بذلك لمبادرته لتصديق النبي ﷺ. وقيل: لقب به صبيحة الإسراء؛ لمبادرته لتصديق النبي ﷺ فيه، ويلقب بعتيق أيضاً من العتاقة وهي الحسن لعتاقة وجهه أو لعتاقة نسبه. وقيل: من العتق؛ لأن أمه كان لا يعيش لها ولد، فلما ولدته استقبلت به الكعبة فقالت: اللهم هذا عتيقك. أو لأن الله تعالى عتقه من النار كما جاء كذلك في حديث مرفوع لعائشة عند الترمذي **(عبد الله بن عثمان)** أبي قحافة **(بن عامر بن عمر)** بفتح المهملة ويكتب بالواو حالتي الرفع والخفض لئلا يشتبه بعمر كزفر (ابن كعب) بفتح الكاف وسكون المهملة آخره موحدة **(ابن سعد)** بفتح المهملة الأولى وسكون المهملة الثانية **(ابن تيم)** بفتح الفوقية وسكون التحتية **(ابن مرة)** بضم الميم وتشديد الراء المهملة. محل اجتماعه مع النبي ﷺ في نسبه الكريم **(ابن**

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات: باب ما يقول إذا نام وباب إذا بات طاهراً وباب النوم على الشق الأيمن، والتوحيد(١١/٩٣، ٩٤).

وأخرجه مسلم في كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: ما يقول عند النوم وأخذ المضجع (الحديث: ٥٦).

كَعبِ بن لؤيٍّ بْنِ غَالِبِ الْقُرَشِي التَّيْمِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنه، وَهُوَ وأَبُوهُ وَأُمُّهُ صحابَةٌ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، قَالَ: نَظَرْتُ إلى أَقْدَامِ الْمُشْرِكينَ وَنَحْنُ في

كعب بن لؤي) بضم اللام وفتح الهمزة مصغر اللأىء **(ابن غالب القرشي التيمي)** بدأ بالأول لأنه الأصل، وعقبه بما بعده لأنه شعبة منه. وتقدم في أول باب الإخلاص، أن القاعدة في مثله ذكر الأعم ثم الأخص لتحصل بالثاني فائدة لم تحصل من الأول، ولو عكس لم تحصل **(رضي الله عنه)** الأولى عنهما لقوله **(هو وأبوه وأمه)** أم الخير سلمى بنت صخر التيمية بنت عم أبيه **(صحابة)** ولم يتفق لأحد من الصحابة ما اتفق له من إسلام أبويه وبنيه وبعض بنيهم وصحبة الجميع **(رضي الله عنهم)** أسلم لما دعاه ﷺ إلى الإسلام ولم يتلعثم ولم يتردد، وهو أول من أسلم من الرجال الأحرار البالغين بلا خلاف، وتأخر إسلام أبيه إلى يوم الفتح، ويكفيك في فضله قوله ﷺ: «إن أمن الناس عليّ في صحبته وماله أبو بكر ولو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر ولكن أخوة الإسلام» رواه البخاري. وفضائله كثيرة ومناقبه شهيرة، وقد أفردت بالتأليف وقال في فضله حسان بن ثابت:

فضله حسان بن ثابت:

إذا تذكرت شجواً من أخي ثقة ... فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا
خير البرية أتقاها وأفضلها ... بعد النبي وأولاها بما حملا
والثاني التالي المحمود مشهده ... وأول الناس منهم صدق الرسلا

روي له عن رسول الله ﷺ مائة حديث واثنان وأربعون حديثاً اتفقا على ستة أحاديث منها، وانفرد البخاري بأحد عشر، ومسلم بواحد، وتوفي رضي الله تعالى عنه بين المغرب والعشاء من ليلة الثلاثاء لثمان بقين من شهر جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة عن ثلاث وستين سنة، وحمل على السرير الذي كان ينام عليه النبي ﷺ، وصلى عليه عمر بن الخطاب تجاه المنبر النبوي، وكبر عليه أربعاً، ودفن بجانب قبر النبي ﷺ **(قال: نظرت إلى أقدام المشركين)** الذين خرجوا يقصون أثر النبي ﷺ لما هاجر ويلتمسون محله الذي هو فيه **(ونحن في الغار)** هو ثقب في الجبل عظيم كالكهف، وهو الغار المذكور في قوله تعالى: ﴿إذ هما في الغار﴾[1] قال قتادة: هو غار في جبل بمكة يقال له ثور، واختلف في التفاضل بينه وبين غار حراء، فقال الفيروزبادي في كتاب الصلات والبشر: إن غار ثور أفضل؛

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٤٠.

الغَارِ وَهُمْ على رُؤوسِنا فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ تَحْتَ قَدَمَيْهِ لَأَبْصَرَنَا فَقالَ: «مَا ظَنُّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثالِثُهُمَا» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(١).

٨٢ ــ التاسع عَنْ أُمِّ المؤمِنين أُمِّ سَلَمَةَ، واسْمُها هِنْدُ بِنْتُ أَبي أُمَيَّةَ حُذَيْفَةَ

لأن الله تعالى ذكره في القرآن وحمى فيه سيد ولد عدنان، وقال بعض المتأخرين: غار حراء أفضل؛ لأنه اختاره ﷺ للتعبد وفيه بدء الوحي **(وهم)** يعني المشركين **(على رؤوسنا)** في طلبنا، فأعماهم الله، وكيف تبصر الشمس مقلة عمياء **(فقلت: يا رسول الله لو)** وقع **(أن أحدهم نظر)** موضع **(تحت قدمه لأبصرنا)** أي: من خلال أغصان الشجر وبيت العنكبوت التي كانت على باب الغار الذي دخلا منه، وهو الباب الضيق، أما الباب المتسع فإنما شق له ﷺ لما قال له الصديق: لو ولجوا علينا الغار ما كنا نصنع. فقال ﷺ: كنا نخرج من هاهنا، وأشار بيده المباركة إلى الجانب الآخر ولم يكن فيه شق، فانفتح فيه للحين باب بقدرة الله تعالى. ذكره الحافظ تقي الدين بن فهد في كتاب أقطاف النور مما ورد في ثور **(فقال ﷺ: ما ظنك)** أي: ما تظن **(يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما)** بالنصر والمعونة والكلاءة والحفظ أيصيبها ضيم؟ وهذا استفهام تقريري، وفيه تسكين لما حصل للصديق حينئذ من الاضطراب **(متفق عليه)** ورواه الترمذي. وفي الحديث تنبيه على أن من توكل على مولاه كفاه وحماه من سائر عداه **«فائدة»** في كتاب اقتطاف النور بسنده إلى الواحدي أنه أخرج عن غالب بن عبد الله القرفستاني عن أبيه عن جده قال: شهدت رسول الله ﷺ قال لحسان بن ثابت قلت في أبي بكر شيئاً، قل حتى أسمع. قال: فقلت:

وثاني اثنين في الغار المنيف وقد ... طاف العدو به إذ أصعد الجبلا
وكان حب رسول الله قد علموا ... من الخلائق لم يعدل به رجلا

قال: فتبسم رسول الله ﷺ اهـ.

٨٢ ــ الحديث **(التاسع عن [أم المؤمنين] عن أم سلمة)** بفتح المهملة واللام. كنية لها بابنها

(١) أخرجه البخاري في كتاب: فضائل الصحابة باب: مناقب المهاجرين وفضلهم وفي التفسير باب قوله تعالى: ﴿ثاني اثنين إذ هما في الغار﴾ (٧/٩ و ١٠).
وأخرجه مسلم في كتاب: فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب: من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه. (الحديث: ١).

الْمَخْزُومِيَّةَ رَضِيَ اللَّهُ عنها أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كانَ إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ قالَ: بِسْمِ اللَّهِ تَوَكَّلْتُ عَلى اللَّه، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَضِلَّ أَوْ أُضَلَّ، أَوْ أَزِلَّ أَوْ أُزَلَّ، أَوْ أَظْلِمْ

سلمة بن أبي سلمة **(واسمها هند)** على الصحيح المشهور بل قال الحافظ العسقلاني في أطراف مسند الإمام أحمد: بلا خلاف أي معتبر فلا يشكل بما قيل: إن اسمها رملة؛ لأنه ضعيف بالمرة. فقد قال ابن الأثير في أسد الغابة: إنه ليس بشيء **(بنت أبي أمية)** بضم الهمزة وفتح الميم وتشديد التحتية **(حذيفة)** وقيل: سهل. وقيل: زهير. وقيل: هشام بن المغيرة بن عمرو بن مخزوم القرشية **(المخزومية)** أم المؤمنين **(رضي الله عنها)** تزوجها ﷺ بعد وفاة زوجها أبي سلمة سنة أربع، وخيّرها ﷺ بين أن يسبع لها ويسبع لنسائه، وأن يثلث لها ويدور عليهن، فاختارت التثليث. وهي أول من هاجرت إلى الحبشة وزوجها جميعاً فولدت ثمة زينب وسلمة وعمر ودرة، ويقال: إنها أول ظعينة دخلت المدينة مهاجرة، وكانت من أجمل النساء. روي لها عن رسول الله ﷺ ثلثمائة حديث وثمانية وسبعون حديثاً، اتفقا على ثلاثة عشر منها، وانفرد البخاري بثلاثة ومسلم بثلاثة عشر، وماتت سنة اثنتين وستين. وقيل: سنة ستين. وقيل: إحدى وستين، وصححه ابن عساكر وقيل: أربع وستين، وقيل: تسع وخمسين، ودفنت بالبقيع وعمرت فعاشت تسعين سنة، وهي آخر أمهات المؤمنين وفاة رضي الله عنها **(أن النبي ﷺ كان إذا خرج)** أي: أراد الخروج وقيل: بل هو على حقيقته أي: عقب الخروج **(من بيته قال:)** هو جواب إذا ولفظ أبي داود: «ما خرج رسول الله ﷺ من بيتي إلا رفع طرفه إلى السماء فقال: اللهم إني أعوذ بك إلخ» وليس عنده قوله **(بسم الله)** أي: أتحصن قال السمين الحلبي: إنما تحذف ألفها حيث يضاف الاسم للجلالة، وإذا أضيف لغيرها لم تحذف، هذا هو المشهور وعليه اقتصر المؤلف في شرح مسلم، ونقله عن الكتاب من أهل العربية، قال الشيخ جلال الدين السيوطي: وحكى عن الكسائي والأخفش جواز حذفها إذا أضيفت إلى غير الجلالة. وقال الفراء: هذا باطل ولا يجوز أن تحذف إلا مع اسم الله تعالى ا هـ. **(توكلت على الله)** وعلى في هذا المقام للتفويض مجازاً عن الاستعلاء. وقيل: المراد من توكلت على الله، طلب الاستعلاء بالله تعالى على كل مرام؛ لتصحبه إعانته ولطفه وتحفظه من غير قصور **(اللهم)** يا الله **(إني أعوذ)** اعتصم والتجيء **(بك)** بقدرتك وعزتك من **(أن أَضل)** بفتح أوله وكسر الضاد المعجمة أي: أغيب عن معالي الأمور بارتكاب نقائصها، فأبوء بالقصور عن أداء مقام العبودية، من ضل الماء في اللبن غاب **(أو أُضل)** بضم ففتح مبني للمجهول أي: يضلني غيري **(أو أزل)** بفتح فكسر للزاي أي: انزل عن الطريق المستقيمة إلى هوة ضدها لغلبة الهوى، أو الإعراض عن

أَوْ أُظْلَمَ، أَوْ أَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ» حديثٌ صَحيحٌ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ والتِّرْمِذِيُّ وغَيْرُهُمَا بِأَسَانِيدَ صَحِيحَةٍ. قالَ التِّرْمِذِيُّ حديثٌ صَحيحٌ. وَهَذَا لَفْظُ أَبِي دَاوُدَ[1].

أسباب التقوى والانهماك في تحصيل الدنيا. من زلت قدمه وقع من علو إلى هبوط. والمزلة: المكان المزلق الذي لا تثبت عليه الرجل، وبه يظهر أن في استعمال أزل هنا نوع تشبيه **(أو أزل)** بضم ففتح أي: يستولي عليّ من يزلني عن المقام العلي إلى السفاف الدني، أو بضم فكسر أي: من أن أوقع غيري في مهواة الزلل أي: المعاصي والخلل **(أو أظلم)** بفتح فسكون فكسر أي: أظلم غيري من الظلم وضع الشيء في غير محله، أو التصرف في حق الغير **(أو أظلم)** بضم فسكون ففتح أي: أظلم من أحد من العباد **(أو أجهل)** أي: أجهل الحق الواجب علي **(أو يجهل علي)** أي: بأن أحمل على شيء ليس من خلقي، وفي الحديث: «من استجهل مؤمنا فعليه إثمه» أي حمله على شيء ليس من خلق المؤمنين، فأغضبه فإثمه على ذلك المحرج له لذلك **(حديث صحيح)** قال الحافظ ابن حجر العسقلاني: وصححه الحاكم من طريق ابن مهدي وقال: إنه على شرط الشيخين، ونوزع بأن في سنده انقطاعاً، فإن الشعبي لم يسمع من أم سلمة. قال الحافظ: ولعل من صححه سهل الأمر لكون الحديث في الفضائل **(رواه أبوداود والترمذي وغيرهما)** فرواه أحمد والنسائي وابن ماجه والحاكم في المستدرك **(بأسانيد صحيحة وقال الترمذي: حديث حسن صحيح وهذا)** أي: المذكور من قوله: «اللهم إني أعوذ بك أن أضل إلخ» **وإلا ففيه** زيادة: «إلا رفع طرفه إلى السماء» ونقص قوله: «بسم الله توكلت على الله» **(لفظ)** رواية **(أبي داود)** وقد أوضح ذلك في كتاب الأذكار له وعبارته بعد أن أورده بمثل اللفظ المذكور هنا: هكذا في رواية أبي داود أن أضل، وكذا الباقي بلفظ التوحيد، وفي رواية الترمذي أعوذ بك من أن نزل. وكذا الباقي بلفظ الجمع. وفي رواية أبي داود ما خرج رسول الله ﷺ من بيتي إلا رفع طرفه إلى السماء فقال: «اللهم إني أعوذ بك إلخ». وفي رواية غيره: كان إذا خرج من بيته قال: «كما ذكرناه والله أعلم. اهـ فيه يعلم أن لفظ أبي داود المشار إليه إنما هو إفراد الكلمات فقط، وإلا فقوله: «من بيته» وزيادة قوله: «بسم الله توكلت على الله» ليست فيه،

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب: الأدب، باب: ما يقول إذا خرج من بيته. (الحديث: ٥٠٩٤).
وأخرجه الترمذي في كتاب: الدعوات، باب: ما جاء في الدعاء وعند افتتاح الصلاة بالليل/ منه (باب: ٣٢) (الحديث: ٣٤٢٣).

٨٣ ــ الْعَاشِرُ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَالَ (يَعْنِي إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ): بِسْمِ اللَّهِ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ. يُقَالُ لَهُ: هُدِيتَ وَكُفِيتَ وَوُقِيتَ، وَتَنَحَّى عَنْهُ الشَّيْطَانُ» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ

وقد بسطت الكلام في هذا المحل وبينت اختلاف ألفاظه عند كل من رواية أصحاب السنن الأربعة في باب ما يقول حال خروجه من بيته من شرح الأذكار.

٨٣ ــ ([والعاشر] عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: من ــ قال: يعني إذا خرج من بيته ــ) لفظ أبي داود إذا خرج الرجل من بيته فقال: **(بسم الله)** أي: اتحصن **(توكلت على الله)** أي: فوضت أمري إليه، وعولت في سائر الأحوال عليه **(لا حول)** وفي نسخة بإثبات الواو قبلها، ويجوز في حول الفتح على إعمال لا. والرفع على إهمالها **(ولا قوة)** بالنصب عطفاً على محل حول إن أعملت الأولى. وبالفتح على إعمال الثانية. وبالرفع على إهمالها كما سبق بيانه آخر الخطبة **(إلا بالله)** ومعناها لا حول عن المعاصي إلا بعصمة الله، ولا قوة على طاعة الله إلا بالله قال عليه السلام: كذا أخبرني جبريل عن الله تعالى. وفي شرح المشكاة للقارىء: أحسن ما ورد في معناه عن ابن مسعود قال: «كنت عند رسول الله ﷺ فقلتها فقال: تدري ما تفسيرها؟ قلت: الله ورسوله أعلم قال: لا حول عن معصية الله، ولا قوة على طاعة الله إلا بعون الله» أخرجه البزار، ولعل تخصيصه بالطاعة والمعصية لأنهما أمران مهمان في الدين. اهـ **(يقال له)** الجملة خبر الموصول الاسمي، والقائل يحتمل أن يكون الله أو ملك. **(هديت وكفيت ووقيت)** وهي بالبناء للمجهول في محل نائب الفاعل، لأنه أريد منها اللفظ، أي باستعانتك باسمه تعالى وتحصنك به هديت للصراط المستقيم، وكفيت كل مهم دنيوي وأخروي، ووقيت أي حفظت من شر كل عدو، وبواسطة صدقك في تفويض جميع الأمر لبارئه وسلبك الحول والقوة عن كل أحد وإثباتهما له تعالى. **(وتنحى)** بفتح أوليه وتشديد المهملة. **(عنه)** أي مال عن جهته وطريقه **(الشيطان)** فلا سبيل له إليه لكونه هدي، ووقي من سائر الأعادي، وكفي الهموم الخفايا والبوادي، **(رواه أبو داود والترمذي والنسائي وغيرهم)** فرواه ابن حبان في صحيحه، **ولفظ الحديث** للترمذي، وقاعدة المحدثين في مثله تقديم ذكر من خرجه باللفظ وتأخير من خرجه بنحو ما ذكروه. ولعل تقديم أبي داود لكونه مقدماً في المرتبة. **(وقال الترمذي: حديث حسن)** وفي نسخة صاحب السلاح حسن غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه اهـ. ونسخ الترمذي مختلفة في مثل هذا كثيراً؛ فلذا اعتبر في اعتماد الأصل منه، تعداد الأصول المقابل هو بها.

وَغَيْرُهُمْ، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ حَدِيثٌ حَسَنٌ. زَادَ أَبُو دَاوُدَ: فَيَقُولُ (يَعْنِي الشَّيْطَانُ) لِشَيْطَانٍ آخَرَ: كَيْفَ لَكَ بِرَجُلٍ قَدْ هُدِيَ وَكُفِيَ وَوُقِيَ؟(١).

٨٤ ــ وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كَانَ أَخَوَانِ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ وَكَانَ أَحَدُهُمَا يَأْتِي النَّبِيَّ ﷺ وَالآخَرُ يَحْتَرِفُ، فَشَكَا الْمُحْتَرِفُ أَخَاهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ:

ويحتمل أن المصنف أسقط لفظة غريب لذلك، أو لعدم تعلق غرضه بذكرها، لأنها لا تقدح في العمل؛ (**زاد أبو داود فيقول: يعني**) تفسير من بعض الرواة، لمرجع هو المستتر في يقول: العائد للشيطان المذكور في قوله وتنحى عنه الشيطان. (**الشيطان**) بالنصب مفعول، يعني وأل فيه عهدية (**لشيطان آخر**) يريد إغواء قائل هذا الذكر، ولم يسمع ما قاله، وما قيل له، أو سمعه وأراد التمرد. (**كيف**) يتيسر (**لك**) أن تظفر (**برجل قد هدي**) وجملة قد هدي، وكذا ما عطف عليه من قوله: (**وكفي ووقي**) في محله الصفة لرجل، وجملة كيف لك إلخ مقول القول، وحاصل المراد أنه يقول الشيطان: لشيطان آخر كيف يتيسر لك الظفر بإغواء رجل موصوف بأنه أعطي هذه الهبات. وفي الترغيب للمنذري والسلاح، فيقول: شيطان بحذف اللام منه فيكون فاعلاً، وحذف المقول له ليعم. وعلم الشيطان حصول هذا المعنى لقائل هذا الذكر من الأمر العام، وهو أن من ذكره تعالى بهذه الكلمات المرغب فيها منه ﷺ أعطي ذلك، أو بسماعه من الملك إن كان هو القائل لذلك كما تقدم في احتمال «**فائدة**» في الجامع الصغير للسيوطي إيراد الحديث السابق عن أم سلمة من حديث بريدة، باللفظ المذكور هنا، وزاد بعد قوله: توكلت على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله. وزاد في آخره أو أبغي أو يبغى علي، وقال: رواه الطبراني، من حديث بريدة، وبه يعلم أن حديث أنس هذا قطعة من الحديث قبله اقتصر كل من رواته على ما ذكره، وترك الباقي إما نسياناً أو لسبب آخر والله أعلم.

٨٤ ــ (**وعن أنس رضي الله عنه قال: كان أخوان**) لم أقف على من سماهما (**على عهد**) أي زمن حياة (**رسول الله ﷺ فكان أحدهما يأتي مجلس النبي ﷺ**) ويلازمه ليتلقى من معارفه ﷺ، ويأخذ من أقواله وأفعاله. (**والآخر يحترف**) افتعال من الحرفة، وهي الصناعة، وجهة الكسب. (**فشكا المحترف أخاه**) في ترك الاحتراف (**إلى النبي ﷺ فقال:**) مسلياً له

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب: الأدب، باب: ما يقول إذا خرج من بيته (الحديث: ٥٠٩٥).
وأخرجه الترمذي في كتاب: الدعوات، باب: ما يقول إذا خرج من بيته. (الحديث: ٣٤٢٦).

«لَعَلَّكَ تُرْزَقُ بِهِ»، رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ. «يَحْتَرِفُ»: يَكْتَسِبُ وَيَتَسَبَّبُ[1].

٨ ــ باب: في الاستقامة

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى[2]: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾.

في انفراده بالاحتراف، وترك أخيه الأسباب **(فلعلك ترزق به)** أي فلعل قيامك بأمره سبب لتيسير رزقك؛ لأن الله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، وفي الحديث أيضا: «وهل ترزقون أو قال تنصرون إلا بضعفائكم» وفي تنبيه على أن من انقطع إلى الله، واكتفى بتدبيره عن تدبير نفسه، وسكن تحت جري مقاديره كفاه مهماته، وفي الحديث تكفل الله لطالب العلم بالرزق، أي بتيسير وصوله إليه لما خرج عن حاجة نفسه، وأقبل على باب مولاه، واكتفى به عن أفعال نفسه وإلا فما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها. **(رواه الترمذي بإسناد)** هو رجال الطريق الموصلة إلى المتن **(على شرط مسلم)** أي أنهم روى عنهم مسلم في صحيحه، وهذا هو المراد بقولهم على شرط الشيخين مثلاً. **(يحترف)** المذكور في الخبر معناه **(يكتسب ويتسبب)** أي يتعاطى الأسباب التي أبرزتها الحكمة ستراً للتصرفات الإلهية...

باب الاستقامة

في مفردات الراغب استقامة الإنسان لزومه للمنهج المستقيم، نحو ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا﴾[3] اهـ. وقال بعض العارفين: مرجع الاستقامة إلى أمرين صحة الإيمان بالله، واتباع ما جاء به رسول الله ﷺ ظاهراً وباطناً، وقال عمر رضي الله عنه: الاستقامة أن تقوم على الأمر والنهي، ولا تروغ عنه روغان الثعلب **(قال الله تعالى: فاستقم كما أمرت)** الخطاب فيه للنبي ﷺ يعني: فاستقم يا محمد على دين ربك والعمل به، والدعاء إليه كما أمرك ربك، والأمر فيه للتأكيد؛ لأن النبي ﷺ كان على الاستقامة لم يزل

---

(١) سورة هود، الآية: ١١٢.

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب: الزهد، باب: في التوكل على الله. (الحديث: ٢٣٤٥).

(٣) سورة فصلت، الآية: ٣٠.